القضية الجزائرية في خطاب كنيدي
وردود فعل المغاربة والمشارقة

د. جميلة بن موسى
المدرسة العليا للأساتذة – بوزريعة

الملخص:

في الثاني جويلية من عام 1957، ألقى جون فيتزجيرالد كينيدي، وهو سناتور شاب من ولاية ماساتشوستس، خطابًا في مجلس الشيوخ الأمريكي ذا أهمية كبيرة في العلاقات الدولية. كجزء من تقليد مناهض للاستعمار، أصبح هذا الخطاب مشهورًا تحت اسم "خطاب جزائري" ، في ذلك الوقت كان له تأثير مدوي في يوم صيفي جميل، كان يعتبر مساهمة سياسية بصراحة من أجل استقلال الجزائر .

يتبع سلسلة من ردود الفعل العاطفية. جاء ذلك من داخل الولايات المتحدة، ولكن أيضًا من الخارج، وصلت رسائل من فرنسا والجزائر وتونس والمغرب وغيرها، وأعربوا عن امتنانهم ورضاهم تشجيع مؤلفيها، بينما يعرض الآخر الخلاف والعنف والعداء.

في هذا المنظور وعلى هامش كفاح الشعب الجزائري من أجل الاستقلال، يحاول هذا المقال الإجابة عن أسئلة معينة، على وجه الخصوص: لماذا تسبب هذا الخطاب في إطلاق هذه العاطفة؟ وما هي الحجج التي قدمت من طرف كل الأطراف فيما يتعلق بمحتواه والحل الذي اقترحه للقضية الجزائرية؟

Résumé :

En date du 02 Juillet 1957, John Fitzgerald Kennedy, jeune sénateur de l'Etat du Massachusetts, a prononcé un discours devant le Sénat des Etats Unis d'Amérique d'une grande importance en matière de relations internationales. S'inscrivant dans une tradition Anticolonialiste, ce discours devenu célèbre sous le nom de « discours Algérien » (The Algerian speech), avait à cette époque un effet de tonnerre par une belle journée d'été. Emanant d'une grande figure publique d'envergure, il a été considéré comme une contribution politique se prononçant franchement pour l'indépendance de l'Algérie.

Une série de réactions passionnées s'en est suivie. Celles-ci provenaient de l'intérieur des Etats Unis, mais aussi de l'étranger, des

lettres lui étaient arrivées de France, d'Algérie, de Tunisie, du Maroc et d'ailleurs, elles exprimaient la gratitude, la satisfaction et l'encouragement des ses auteurs, alors qu'une autre affiche le désaccord, la véhémence et l'hostilité. C'est dire à quel point le « discours Algérien » était derrière l'éruption d'un débat passionnel.

C'est dans cette optique et en marge de la lutte acharnée du peuple Algérien pour arracher son indépendance que cet article essaie de répondre à certaines questions، notamment: pourquoi ce discours avait-il occasionné le déchainement d'une telle passion? et quels étaient enfin les arguments des un et des autres par rapport à sa teneur et à la solution qu'il proposait pour la question Algérienne ?

إن المتتبع للقضية الجزائرية في مسارها الثوري والسياسي، يجد أنها قد انطلقت من قناعات عميقة يمكن ادراجها ضمن الوعي الثوري الذي اقتضته الظروف الداخلية والخارجية للشعب الجزائري، وضمن الحتمية التاريخية التي ميزت منطقة شمال أفريقيا عبر العصور. كما مكن التسلسل التاريخي للوجود الأجنبي في شمال افريقيا عامة والجزائر خاصة من بلورة فكرة ردة فعل النفسية لهذا الشعب، والتي ما هي إلا حالة ذاتية وغريزية في كل كائن حي يتجاوب فيها الجسم والفكر مع طبيعة الوضع الذي يعيشه بسيطا كان أو معقدا. من خلال هذا الطرح يمكن لنا القول أن المسار الثوري للشعب الجزائري، كان عبارة عن رفض تراكمت ظروفه عبر التاريخ ليس ضد الوجود الفرنسي فقط، بل منذ أن بدأت نظرية الأجنبي تطبق لاستغلال هذا البلد وثرواته وطمس هويته والقضاء على خصوصياته، ليسهل استدراجه ضمن الأهداف التي تسطر من طرف القوي ضد الضعيف.

لأن الشعوب التي تربت على مبادئها و تشبعت بقناعات خاصة بها منبعثة من بيئتها والمحيط الذي يحويها، يصعب طمس هويتها والقضاء عليها، لأنها انارت دروبها بنفسها بما انتجته من وعي منبعث من النسيج الجماعي الذي كان دائما حريصا على نقله لأجياله عارفا أتم المعرفة بمصادره وآفاقه والمخاطر التي تهدده، مكونا أسسا حضارية تتوارثها الأجيال عبر التاريخ. لأن الوعي عند الأمم و الشعوب لا يكون منبعثا من ظرف أو وضع حدث نتيجة حراك سياسي او اجتماعي أو ثقافي، بل هو نتيجة لمقارنات وتحليلات يقوم بها الانسان بحكمة عندما يجد نفسه منجرا وراء تيار سلبي خطير يسير عكس مساره الحضاري الذي تكونت ملامحه عبر التاريخ، وتجذرت قناعته في فكره وشخصه،

لأن صمام الأمان الذي أنجزه عبر العصور لحماية هويته بفكره الخاص، كان كافيا لإعطائه مؤشرا يمكنه من معرفة الخلل الذي ينتاب مسار حياته لإحداث هبة تتوافق والأحداث لتغيير وضعه.

وبذلك كان منطقيا جدا أن ندرج ما حدث خلال الثورة الجزائرية من تغير في الذهنيات وبلورة في الأفكار وتنوع في السبل وإيمان بالرسالة، ضمن الوعي الثوري الذي أكد أن الوضع في الجزائر نبه بالخطر بتهديد الأمة في هويتها واستقرار أمنها ومستقبل أجيالها ، في ظل وجود أجنبي خطط لهدم كل الرموز الحضارية لها عبر التاريخ .

كما أن الجزائر لم تكن في معزل عن ذلك الوعي الذي عرفته منطقة شمال إفريقيا والعالم العربي، نظرا لما كان بينهما من روابط دينية وثقافية وإنسانية وتاريخية، والتي اتضحت مظاهرها في مساندة هذه شعوب لثورتها ماديا ومعنويا منذ انطلاقها، والتي اتخذت وسيلة للتعبير عن وضعها الخاص وانشغالاتها ضد الاستدمار الموحد الذي قدر لها أن تعيش تحت سيطرته لفترة زمنية طويلة وهي تنتمي إلى نفس المنطقة جغرافيا. فالمساعدات المادية والبشرية التي قدمتها هذه الشعوب للجزائر وثورتها فرضت نفسها أيضا للتعبير عن رفضها للقمع الذي تعرضت له هذه الثورة وقاداتها والذي كان باستبداد ظاهر للعيان ، في الفترة التي تعالت فيها أصوات الشعوب في العديد من بقاع العالم تطالب بالتحرر من نير الاستدمار الحديث باسم الديمقراطية وحقوق الانسان.

لكن المطلع على هكذا أوضاع يصعب عليه فك رموز العديد من الأحداث التي طبعت الثورة الجزائرية إلى درجة، أن طرحت فيها العديد من الفرضيات أبعد فيها القادة عن حقيقة الوعي الثوري الذي سير مشروعهم والذي كان بإمكانه أن يحقق أهدافا قامت من أجلها الثورة و خطط لها ، ليس لسبب إلا لأن ما آلت إليه الثورة من نتائج بعد نهايتها لم يكن في الحسبان و لا منتظرا ،لأن هذا الوعي لم يبق له أثر إلا عند الأقلية القليلة التي كانت تؤمن برسالة النضال وأبعادها الحضارية.كما يمكن لنا القول أن الوعي الذي ميز الشعب الجزائري في ثورته، لم يكن بإمكانه إخراج الثورة عن الحراك التحرري الذي شهده العالم في تلك الفترة، والذي كان عبارة عن حتمية تاريخية عكست نتائج ايجابية وسلبيه على من كان يريد فرض وجوده أمام القوى العالمية الخارجية التي تنافست فيما بينها لخدمة مصالحها في المنطقة التي كانت تراها جيواستراتيجية.

في خضم أحداث النضال الجزائري ترددت أصوات هنا وهناك عبر العالم تطالب بحق شعبها في تقرير مصيره، الأمر الذي دفعنا للبحث فيها والكشف عن حقيقتها وإماطة اللثام عنها إن كانت عبارة عن تغيير لابد منه ظهر بعد نضج وعي بلغته الشعوب المضطهدة، أم نمط سياسي جديد ظهر لتسيير العالم بالبحث عن مناطق نفوذ جديدة تخدم مصالح القوى الكبرى على حساب البلدان المتطلعة للحرية والاستقلال، أي بالبحث في السيناريو الذي وضعته بعض الدول التي كانت تدعي مساندة القضية الجزائرية على أسس انسانية وديمقراطية لكن في حقيقة أمرها لم تكن سوى أسلوب جديد للعلاقات الدولية وبين الشعوب، ظاهره حق تقرير المصير وباطنه اظهار مخالب القوى الاستدمارية الجديدة التي وضعت الجزائر غنيمة يمكن الاستحواذ عليها عندما تتاح لها الفرصة.

نعم هكذا كانت حقيقة الشعوب بدون استثناء على الرغم من ذلك التعاطف المتميز الذي أظهرته للجزائر وشعبها والذي جعل من البطل الذي يجب الاقتداء به للتخلص من كل قوى الشر التي أثقلت كاهل الشعوب الضعيفة. وتجدر الاشارة هنا إلى إحدى القوى التي أظهرت ودها للجزائر مساندة قضيتها بشكل سياسي متميز وهي الولايات المتحدة الأمريكية، التي تأخذنا بها الأحداث إلى تاريخ 2 جويلية 1957م، التاريخ الذي اهتز فيه العالم على وقع دوي خطاب ألقاه سيناتور مساشوستس الديمقراطي في مجلس الشيوخ الأمريكي جون كنيدي، الذي طالب بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره ومنح الجزائر استقلالها الرسمي.

أي تأويل يمكن أن يعطى لهذا الخطاب و نحن نقرأ لنفس الشخص وهو يصرح علنا: **" أنه قرر الحسم في أمر القضية الجزائرية لأن فرنسا لم تعد قادرة على حماية مصالحها ومصالح و.م.أ في منطقة شمال إفريقيا، بل إن فرنسا وضعت مصالح و.م.أ والغرب في خطر وهي تستهين بالثورة الجزائرية ".** كما شكل هذا الوضع معضلة تاريخية وسياسية صعبة التأويل ونحن نقرأ تلك الردود التي اشادت بالخطاب عبر العالم والتي كانت ايجابية في نظر الكل تجاه الثورة الجزائرية. إلا أن ما كان يخفيه الخطاب عن السياسة الأمريكية يمتد إلى

عمق التاريخ. من هنا كان علينا أن نطرح العديد من الأسئلة في مضمون الخطاب و لما صدر من شخص مثل كنيدي؟

ولماذا خصص للدفاع عن القضية الجزائرية ؟ و ما هي خفايا هذا الخطاب ؟

وفي الوقت نفسه ما هي ردود فعل المغاربة و المشارقة تجاه ذلك؟.
للإجابة على هذه الأسئلة دفعنا الفضول لإعادة قراء ة كتاب " John F. Kennedy,La France et le Maghreb" للمؤلف فرج معتوق ، الصادر عن دار l'armattan سنة 2012م. الذي حاول أن يحلل خطاب كنيدي بالشكل الذي تساءل فيه عن نوايا و.م.أ وموقفها من المستعمرات الفرنسية القديمة في شمال إفريقيا متصدية للغزو الشيوعي السوفياتي في خضم الحرب الباردة الذي كان يشكل خطرا على المصالحها في شمال إفريقيا والوطن العربي، والذي لم تتمكن فرنسا في نظرهم من توقيفه.

قبل الاطلاع على تلك النوايا والتوجهات كان علينا معرفة و لو بشكل موجز الجذور العائلية لكنيدي وجوانب من حياته الخاصة، والتي أكسبته القدرة على المواجهة والتحدي والجرأة السياسية في التصريح و معرفة حقائق الامور بعمق. هاجر باتريك كنيديPatrick Kennedy أول الكنيديين إلى الولايات المتحدة الامريكية سنة 1849م تاركا ايرلندا ، بعد أن تمكن شقيقه الاكبر من ميراث العائلة الذي هو عبارة عن مزرعة في New Rose في أقصى الجنوب الشرقي لايرلندا وفق العرف الاجتماعي المعتمد ، الذي ينص على أن الميراث بعد وفاة الوالد يعود إلى الاخ الاكبر ، دون حظ لبقية الإخوة فيه، باحثا عن استقرار جديد في الأرض الموعودة بعد رحلة مغامرة طويلة [1].

على الرغم من التمييز الاجتماعي و العنصرية اللذان تعرضت لهما عائلة كنيدي من طرف جماعة WASP أي جماعة (الانجلو سكسون البيض البروتستانت) في و.م.أ الذين كانوا يرون أنفسهم أولى بالأرض الجديدة من المهاجرين الذين تأخروا في هجرتهم، إضافة إلى كونها تدين بالمذهب الكاثوليكي أي عكس جماعة الايرلنديين الذين كانوا على المذهب البروتستانتي. إضافة إلى الأوبئة التي فتكت بالجماعة الايرلندية في الارض الجديدة كالطاعون وغيرها تمكنت عائلة كنيدي من فرض وجودها وتحسين وضعها الاجتماعي والمادي في بوسطن موطن

استقرارها الأول لتكسب بعد ذلك رهان التحدي، بعد أن صنعت مجدها المادي كأغنى عائلة في و.م.أ ثم مجدها السياسي باعتلاء جون أحد أفرادها منصب رئيس لأقوى دولة في العالم .

سمحت الظروف السابقة الذكر من صقل شخصية جون منذ طفولته، أي بالعيش في رغد الحياة مستمتعا بكل امتيازاتها من مال وسفر وتعليم، حيث استطاع أن يسافر عبر العالم ويزور العديد من العواصم من لينينغراد إلى سايغون ومن بوخارست إلى ليما، مما أكسبه نظرة حول الوضع الاجتماعي والسياسي للشعوب في العالم، سواء الحرة منها أو المستعمرة. أما فيما يتعلق بمستواه العلمي، فقد استطاع جون أن يزاول دراساته في أرقى المدارس والجامعات من بريطانيا إلى أمريكا ليلتحق بجامعة هارفارد شمال بوسطن ويتحصل على شهادة الليسانس في العلوم السياسية سنة 1940م والعديد من شهادات الاستحقاق والشرف التي منحت له من طرف العديد من جامعات أمريكا والمؤسسات العالمية التي كانت ترى فيه رجل العصر بتكوينه المتميز.

خلال دراساته اهتم بالعديد من النظريات الخاصة بالفلسفة السياسية ، حيث اهتم بالقومية والفاشية والاستعمار كما اهتم بدراسة الشخصيات الاكثر تأثيرا في الوضع السياسي والاقتصادي كشخصية مكيافيل، جون جاك روسو، موسوليني، ماركس ولينين، التحق بالبحرية الأمريكية كضابط خلال الحرب العالمية الثانية ، مما مكنه من معرفة العالم الخارجي والقدرات التي كانت تملكها أمريكا للمضي قدما لتحقيق أهدافها السياسية والعسكرية. الأمر الذي سوف يكون له تأثير على تكوينه السياسي والاقتصادي مستقبلا [2]، مما سمح له أن يتولى منصب سيناتور مساشوستس في الكونغرس الأمريكي وتكوين نظرة تحررية على الطريقة الأمريكية تجاه شعوب العالم المضطهدة. إضافة إلى علاقاته الخارجية التي كنت تربطه بالشخصيات ذات الوزن الدبلوماسي والتي مكنته من كسب ود الجميع والسماح له بمناقشة العديد من القضايا التي تخص أمريكا داخليا وخارجيا.

فكون جون رجل سياسي وعلمي وثقافي بامتياز وكونه أمريكي الموطن إضافة إلى خبرته في العلاقات الدولية، دفعه إلى أن يرى حكومته أي و.م.أ جندي العالم الذي يجب أن يقود ويحمي الشعوب المضطهدة، الفكر الذي سوف يحاول تجسيده وهو يمارس السياسة كرئيس لأمريكا بعد فوزه في الانتخابات الرئاسية سنة 1960م، لكن بطموح أمريكي لا يختلف عن بقية الشخصيات التي تأثر بها وهو يتعلم منها مبادئه التي استعمرت واستغلت وهي تدعي أنها ناقلة لمبادئ التحضر والتحرر . هكذا تكون عائلة كنيدي قد استطاعت أن تخلق من العدم ثروة اقتصادية وقوة علمية، مدعمة بسلطة سياسية برهنت أن الارادة وحدها قادرة على ان تصنع المعجزات. لقد أشار الكاتب في مؤلفه المعتمد عليه في هذه القراءة إلى البدايات الأولى للاهتمام الأمريكي بالجزائر، فذكر الحرب العالمية الثانية التي كانت بمثابة النافذة التي فتحت عليها لإثبات وجودها في العديد من مناطق العالم متحدية في ذلك القوى الاستعمارية التقليدية كفرنسا وبريطانيا. وهذه الفترة تقودنا إلى الانزعاج الذي انتاب الحكومة الأمريكية و هي تسمع بتولي حكومة فيشي الموالية للنازيين تسيير الأمور في الجزائر، بسبب الأهداف التي سطرتها في هذه المنطقة والتي كانت تراها استراتجية بالنسبة لمصالحها، الأمر الذي سوف يدفعها إلى البحث عن طرق دبلوماسية محنكة ولو بتحدي فرنسا الصديق التقليدي، لأنها لم تعد في نظرها تصنف ضمن القوى الكبرى بسبب الاخطاء التي ترتكبها في المنطقة. هذا ما لمسناه عندما سارعت أمريكا إلى إجراء اتصالات مباشرة مع المندوب الفرنسي العام في الجزائر ماكسيم ويغاند/ Maxime Weygand الذي كان يحظى بثقة كبيرة لديها، عن طريق قنصلها فليكس كول / Felix col وفي نفس الوقت لم تكن نظرة فرنسا لأمريكا سلبية فقط في عدم محاورة هذه الأخيرة لحكومة فيشي خلال الحرب العالمية الثانية، بل في عدم مساندتها خلال العدوان الثلاثي على مصر سنة 1956م، الذي عبر عنه" تييري مولنيه " Thierry Maulnier في جريدة " لو فيقارو" الفرنسية قائلا: **لقد اهنتمونا تحت أنظار 300 مليون عربي ...أمام ناصر** " كما أسرد قائلا : " **إن فرنسا تدافع عن آخر حظ لها في شمال إفريقيا، فلا تدفعوها أن تختار بين ميولها الإفريقية وصداقتها لأمريكا** [3] " في الوقت الذي لم يكن فيه كل من ترومان و ايزنهاور معارضين لفكرة تحرر الشعوب الإفريقية والعربية انطلاقا من مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها المنبعث من

قناعات الشعب الأمريكي التحررية، الذي كانت الحرب الاستقلالية بالنسبة لهما مثالا يقتدى به من طرف شعوب العالم التي تتطلع للحرية. مما يؤكد أن ترومان وايزنهاور لم يكن كلاهما ضد فكرة تفكيك الامبراطوريات الاستعمارية التقليدية المتمثلة في كل من فرنسا وبريطانيا والحلول محل نفوذهما، لكن في نفس الوقت كان صعبا التصريح لصالح القضية الجزائرية منذ البداية. لأن الجزائر وبكل بساطة تعني الكثير لأمريكا وطموحاتها كقوة عالمية مستقبلا والتي سوف تحاول تحقيقها عن طريق سياسة الدولار والمساعدة التكنولوجية والمعونة الاقتصادية والتدخل العسكري إذا اقتضى الحال.

إضافة إلى صعوبة مواجهة القوة النازية من جهة والقوة الشيوعية من جهة أخرى فيما بعد. كما لا يمكن لنا أن ننسى تلك الخدمة التاريخية التي قدمتها فرنسا لأمريكا وهي تحتل الجزائر واضعة الحد لتلك الجزية التي فرضت عليها وعلى الأوروبيين عند عبورها للبحر الأبيض المتوسط في ظل الحكم العثماني. ولقد أشار إلى ذلك جون كامبون سفير فرنسا بواشنطن وهو يردد اشادة الرئيس الامريكي روزفلت بالدور الحضاري لفرنسا بالمنطقة [4]، ونفس التصرف قام به من قبل وودروويلسن عندما رفض الاجابة على طلب الأمير خالد والوفد المرافق له والمتمثل في تطبيق مبدأ تقرير المصير على الجزائر الذي تضمنته عريضته [5].

إن دفاع فرنسا عن مصالحها في شمال افريقيا بمواجهة السياسة الامريكية، يمتد أيضا إلى زيارة الحبيب بورقيبة رئيس الحزب الدستوري التونسي لواشنطن سنة 1951م ليندد بالسلطة الفرنسية التي عرقلت مشروع الإصلاحات المتفق عليها في تونس. حيث جاءت ردة فعلها على لسان سفيرها بواشنطن الذي تساءل عن أسباب استقبال الحكومة الأمريكية لبورقيبة. ليكن الرد الأمريكي: أن بورقيبة سافر بجواز سفر فرنسي، وممثلا لحزب اعترفت به من قبل، ثم ليس على فرنسا أن تملي على امريكا من تستقبل على ترابها و من ترفض [6].

إن مثل هكذا رد يبين فعلا أن الفرنسيين شعروا بمنافسة الأمريكيين لهم، لكن مواجهتها بهذا الشكل يدفع بعلاقاتها إلى التعقيد ومصالحها للضياع. غير أن سنة الحياة فرضت نفسها للإعلان عن قرب نهاية الإمبراطورية الاستعمارية العجوز الذي لا طالما أخفته فرنسا وهي تتحدى القوى العالمية الكبرى الجديدة كأمريكا والاتحاد السوفياتي،

ليتضح ذلك في خطاب كنيدي الذي أظهر حقائق واخفى أخرى فيما يتعلق بسياسة أمريكا الخارجية، ولقد لمسنا ذلك عندما قامت أمريكا بمساندة الجزائريين التي تشكل معها منطقة شمال افريقيا حقلا استرتيجيا للتصدي للزحف الشيوعي وتقليص مخاطره كما سبق وأن أشرنا.

في 2 جويلية من عام **1957م** ألقى السيناتور الأمريكي جون كنيدي خطابا مدويا زعزع به أركان الحكومة الفرنسية و هو يعلن رسميا أمام مجلس الشيوخ الامريكي حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره ، ومنحه الاستقلال بشكل رسمي، الخطاب الذي أصبح يعرف بـ : **" The Algerian speech "**. أشار كنيدي في هذا الخطاب إلى فكرة التحرر لدى الانسان و قال :" **إن القوة** الوحيدة **والكبيرة في العالم اليوم، لا تكمن في الشيوعية و لا في الرأسمالية و لا في القنبلة الهيدروجينية ولا في الصواريخ العابرة للقارات ، بل في رغبة الإنسان الأبدية أن يعيش دائما حرا مستقلا "**. وأضاف قائلا **" إن العدو الأكبر لهذه القوة الخارقة في الرغبة في التحرر يكمن في الإمبريالية التي تسمى اليوم الامبريالية السوفيتية، والإمبريالية الغربية "** [6].

كما أشار كنيدي إلى الحرب الجزائرية موضحا خطورتها على المنطقة ومصالح فرنسا في حد ذاتها قائلا: **" إن الحرب في الجزائر قد قلصت الموارد وخفضت من معنويات أقدم حليف، والذي تعد صرامته حيوية بالنسبة للعالم الحر"** [7]. دون أن ينسى رفضه للسياسة الامريكية التي كانت تساند دائما فرنسا في مواقفها من قبل لأسباب تعرفها هي[8] ، الامر الذي كان يعني تخلي أمريكا عن مبادئها الداعية للاستقلال والتحرر خاصة وهي تساند الحكومة الفرنسية في سياستها في قمع الثوار في الجزائر.

والقرار الذي اتخذه كنيدي فيما يتعلق بالقضية الجزائرية جاء بعد أن كشف له سجل حساب النفقات داخل مجلس الشيوخ الأمريكي والذي أكد الخسائر التي تكبدتها أمريكا في مساندتها للسياسة الفرنسية في الجزائر ماديا حيث قال: **" مهما كانت مشاكلنا في العلاقات المتبادلة والاهداف التي نصبو إليها والحنين إلى ما ضيع من مصالح والاحباطات التي تحدث لنا، لا يمنع امريكا ولا فرنسا من ان تعيا جيدا أنه إذا أرادتا الابقاء على هيمنتهما على شمال أفريقيا يجب أن تمنحا الاستقلال للجزائر**[9] . كما عبر عن نوايا و.م.أ في المنطقة بشكل مباشر متحديا فرنسا و السياسة المنتهجة قائلا : **" في بعض الأحيان يجب أن نقدم**

خدمة للناس رغما عنهم " [10] و برر هذا الموقف مرة أخرى قائلا : " **لو تدخلت أمريكا في الهند الصينية كما تقترحه اليوم في الجزائر لقدمت خدمات لفرنسا و أمريكا معا "** [11]. و فيما يتعلق بالقوة الشيوعية التي كانت تخيف قوى الغرب و التي بإمكانها احتواء الجزائر في حالة حصولها على الاستقلال في نظرهم رد قائلا : **" إن تونس و والمغرب تحصلتا على استقلاليهما و لم يحتويهما لا السوفييت و لا بكين و لا القاهرة** [12]**"** كما أنه يريد أن يقول أن هناك ضمانات تمنع الشيوعية من الانتشار في هذه الدول المستقلة حديثا. وأضاف بلهجة حادة قائلا: **" لقد حان الوقت لكي تتصدر أمريكا زعامة العالم الحر و تمنح الاستقلال للجزائر "** [13]. وهو ما يمكن أن يقرأ كاختبار لسياسة أمريكا خارجيا ، وقياس لمدى قوة ردة فعل فرنسا وهي تتدخل في قضاياها الداخلية، والتي لم تعد تخصها لوحدها بل العالم ككل. والذي يعني كذلك اثباتا لنضج السياسية الأمريكي خارجيا واكتسابا لقوة فرض النفوذ، والقدرة على التطبيق.

وإذا عدنا إلى التاريخ نجد مثل هكذا موقف ليس بالغريب على السياسة الامريكية التي كانت تتطلع دائما إلى كسب ثقة و نوايا الشعوب المضطهدة سواء العربية منها أو الإفريقية أو الأسيوية حيث سبق و أن صرح وودرو ولسن سنة 1913 م قائلا : **" إن قلوب الرجال تأمل فينا "** [14] ، أما نيكسون كنائب للرئيس الأمريكي صرح قائلا: **" أنه من الغباوة اعتبار الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا** [15]**.** ليتحول بذلك صديق الأمس إلى عدو اليوم عندما تتدخل المصالح من أجل البقاء، ويكون بذلك شعار البقاء للأقوى سيمة هذه الشعوب التي كانت تتربص فرص البقاء على حلبة الصراع الدولي متخطية كل الحدود.

بعد إلقاء الخطاب قدم جون كنيدي تقريرا للجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ، تحت رقم : (**S . RES. 153**) المتضمن للثورة في الجزائر وما تعانيه من اضطهاد لطموحاتها الوطنية الشرعية. بهذا الشكل يكون جون كنيدي قد أعطى الضوء الأخضر للولايات المتحدة الأمريكية بان تدرج القضية الجزائرية ضمن انشغالاتها الخارجية ، محاولة حلها بما اوتيت من قوة ديبلوماسية وامكانيات عسكرية بتصدرها للزعامة في حلف الناتو وقوة اقتصادية متميزة استفادت منها في الوقت الذي كانت فيه بلدان العالم تتخبط في مخلفات الحربين العالميتين.

قوة خطاب جون كنيدي استشعرته كل الأمم و استحسنته كل شعوب العالم من باب أنه شكل جرعة منعشة للحركة النضالية التي بادرت إليها هذه الأخيرة، للتعبير عن أوضاعها السيئة وهي تعيش في ظل النظام الاستعماري الغاشم ، مما مكنها من الاسراع للتعبير عن موقفها الايجابي تجاهه. ومن الرسائل التي يمكن الوقوف عندها في هذا البحث الملخص لخطاب كنيدي وآثاره، تلك المتمثلة في المواقف المغاربية ، التي نظر إليها كنيدي بنظرة خاصة كونه من المهتمين بتنظيم العلاقات بينها، وهذا بزرع نوع من التفاهم والتأثير على بعضها البعض ليسهل على أمريكا وفرنسا حسن التعامل معها، والتي كان يراها الحل الوحيد لامتصاص موجة الغضب التي عمت كل أرجاء المغرب سواء عن الطريق السياسي أو العسكري. وللعلم لقد كانت العلاقات المغاربية الأمريكية حسنة نظرا لتلك الآمال التي وضعتها هذه الأخيرة في نظام و. م.أ الواعد لطموحاتها مما عول عليها كثيرا لتهدئة الاوضاع في المنطقة لصالح امريكا وفرنسا معا. والمجال لا يسعنا لذكر تفاصيل العلاقات المغاربية الأمريكية لتوضيح الفكرة أكثر، بل يكفي الاشارة إلى أن سلاطين المغرب الأقصى كانوا أول من اعترف باستقلال و.م.أ قبل أزيد من قرنين وأول من بادروا إلى اقامة العلاقات الديبلوماسية معها [16] . وهنا يمكن أن نشير أيضا إلى" إذاعة صوت الجزائر" الذي كانت تبث بالعربية من تطوان المغربية والتي عبرت قائلة : أن الخطاب جون كنيدي هو عبارة عن انتصار جيد احرزته جبهة التحرير الوطني الجزائرية في المجال الدبلوماسي، والذي يؤكد في نفس الوقت نجاح مسعى الحركة لإقناع دول العالم بضرورة التدخل في المأساة " [17]

ومن بين الرسائل التي يمكن الوقوف عندها تلك التي أرسلت من طرف جلولي فارس رئيس المجلس التأسيسي التونسي، بعد يومين من إلقاء الخطاب حيث شكر العضو في مجلس الشيوخ الأمريكي قائلا: "إن الخطاب المؤثر الذي ألقيتموه أمام مجلس الشيوخ الأمريكي، والذي وقفتم فيه ضد تجاهل الشعوب الحرة إزاء الثورة الجزائرية، يبرهن بوضوح الاهتمام الكبير الذي توليه الديمقراطية الأمريكية لتحرير الشعوب المضطهدة. ولوضع حد للمأساة الجزائرية فإن موقفكم الذي لا يمكن أن نصفه إلا بالمخالف للفرنسيين يشكل نداءا قويا للضمير العالمي وللرأي العام الفرنسي في حد ذاته.

وتتضمن الرسالة كذلك قوله: أن تونس إلى جانب كل الأمم الحرة وتعرب عن أملها في أن تعترف فرنسا وتضع حلا للقضية الجزائرية وفق مبادئ ميثاق الأمم المتحدة و التي تشكل فرنسا فيها طرفا مدافعا بلا منازع. كما أضاف قائلا: أننا مسلحين بعزيمة قوية لاقتلاع براعم الحرب والطغيان ونعمل سويا من أجل قضية السلام [18].

من خلال هذه الرسالة يتضح أن الوضع في تونس كان يختلف تماما عما كان عليه في الجزائر ليس من باب التعبير عن رأي سياسي فقط، ولكن من باب أن ما كان يربطها بالجزائر كان أقوى وبالتالي كان صعبا عليها أن تتخلى عن الجزائر في ظرف رأت فيه أن الاستقلال فيها لا يتحقق إلا عن طريق النضال الثوري المرير، و بالتالي رأت في خطاب جون كنيدي بصيص الأمل لدعم القضية الجزائرية. كما أوضحت هذه الرسالة أن تونس حقا كانت لها كلمتها السياسية على لسان أحزابها المدعمة لحركة النضال في شمال أفريقيا بعد تحصلها على استقلالها سنة 1956م، وتكفي الاشارة في هذه السنة إلى الاجتماع الذي دعت اليه كل من تونس والمغرب لتنظيم مناقشة امكانية ايجاد حل للقضية الجزائرية بقيادة بورقيبة ومحمد الخامس والذي بسببه تم اختطاف الطائرة التي كانت تقل الزعماء الخمسة من الرباط الى تونس مرورا بجزر الباليار.[19] والكلام عن تونس يعني الكلام عن القاعدة الخلفية للثورة الجزائرية، لاستكمال النضال السياسي والعسكري، لأن الوعي السياسي التونسي لا يختلف من حيث المبدأ عن الوعي السياسي الجزائري الذي انبثق من منبع حضاري واحد.

أما الرسالة الثانية: فلقد كانت طويلة وفي غاية من الدقة ارسلت من طرف عبد الجبار سيد من المغرب الأقصى، والتي كانت واضحة في وصف الوعي السياسي الذي بلغته شعوب هذه البلدان، حيث قال: أن الثورة الجزائرية هي ثورة أمة بأكملها لشعب منزوع السلاح ومضطهد خلال 130 سنه ". كما تساءل معرفا بطبيعة النضال في الجزائر وما يحدث فيها من طغيان و قمع للثوار قائلا : إذا كان الكفاح من أجل الاستقلال هو جريمة، فيجب علينا إعادة النظر في التاريخ المعاصر ووصف الأمم الأوروبية الحرة بالمجرمة. وهنا قصد فرنسا التي قال عنها: كيف يحق لفرنسا أن تستخدم كل ما تملكه من قوة لمكافحة الشعب الجزائري الأعزل في الوقت الذي يمنع عليه حمل السلاح للدفاع عن نفسه؟

ثم يضرب على الوتر الحساس عند الأمريكيين الذين كانوا يخشون استغلال الشيوعيين للقمع الفرنسي والضفر بمستعمراتها حين قال : هكذا تنشأ الشيوعية في العالم الثالث " وانه ليس على فرنسا أن تبحث على حل لمشاكلها السياسية من خلال علاقاتها بمستعمراتها [20] " .ساعدت هذه الرسائل في توضيح الرؤية لدى كنيدي الذي كان يريد الحصول على تأييد من طرف الدول التي تحصلت على استقلالها حديثا كالمغرب وتونس والتي ما زالت تؤمن بفكرة الديمقراطية التي تصدر من طرف الغرب، والتي اعتبرت في نظرنا طعما تمكن من هذه الشعوب التي لم تتفطن بعد إلى الأهداف الجديدة التي سطرت من طرف القوى الكبرى ضدها.

من هنا يمكن لنا القول أن النضال لم و لن يتوقف بمجرد حصول دولة أو دولتين على الاستقلال إذا كان هذا النضال منبعث من قناعات شعب عان ويلات طغيان الاستدمار الاجنبي لفترة زمنية طويلة وهو شأن بلدان شمال افريقيا .فتونس والمغرب لم يكن عليها أن تتلقى تقريرا مفصلا للأوضاع في الجزائر وثورتها لكي تعبر بهكذا طريقة، لأن التلاحم الذي عرفته هذه الشعوب فيما بينها عبر التاريخ كان كافيا لإرسال رسائل مشفرة يفهمها الجميع.

وبالتالي جاءت الرسالة الاولى عبارة عن تدعيم لتكريس الديمقراطية الحرة في العالم والتي ترعاها أمريكا وتحمل رايتها انطلاقا من مبادئ ولسن الأربعة عشر. أما الثانية فلقد كانت عبارة عن تهديد لأمريكا في مصالحها في المنطقة بعرض البديل الشيوعي عليها في حالة ما إذا أرادت الانحياز لفرنسا التي سوف تزول عاجلا أم آجلا، لأن تطورات الأحداث العالمية و الحتمية التاريخية فرضت نفسها واتخذت مسارا يختلف تماما عن التوجه الذي انطلقت به الحركة الاستدمارية التقليدية والذي كانت بوادره ظاهرة للعيان نتيجة الانقسام الذي عرفه العالم بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وظهور بوادر الزعامة الفردية أي الأحادية القطبية الذي احتوت فكرته و.م.أ.

من خلال ما سبق ذكره من أحداث وتلخيص لبعض القضايا يمكن لنا الجزم أن الو.م.أ كانت من بين الدول السباقة التي خططت لمستقبلها بطريقة دبلوماسية محنكة، منبعثة من التجربة السياسية التي ميزت رؤساءها منذ الاستقلال إلى غاية ما بعد الحرب العالمية الثانية. والتي عرفت كيف تتجنب الازمات والحروب على شعبها وبلدها بدفع خطر التهديدات الاجنبية خارجها، بما كانت تحمله من شعارات منبثقة من قناعاتها الداخلية، والتي دعت بها إلى حق الشعوب في الحرية وتقرير مصيرها بنفسها، على الرغم من تلك الحقائق التي أخفتها أمام هذه الشعوب التي أعيد استعمارها بالقوة الاقتصادية والدبلوماسية. هكذا كان خطاب جون كنيدي في الماضي وهكذا أصبح اليوم وفق ما حققه من انتصارات للو.م.أ، وانها لم تكن وعبر التاريخ سوى وجهان لعملة واحدة ، ومثلا يحتذى به من طرف الشعوب التي تكسب من الإرادة ما يمكنها من استرجاع سيادتها وفق امكانياتها وقدراتها الخاصة والفردية التي تتمتع بها. كما يمكن لنا القول أيضا ان خطاب كنيدي أعطى دفعا للثورة الجزائرية التي رأت من خلاله أن الحرية تؤخذ ولا تعطى قياسا بنضال و.م.أ الذي سمح لها أن تكتسح العالم لتعرف بنفسها و قوتها ،على أساس أن الصغير لا يبق على الدوام صغيرا، إلا إذا تشبع بفكر انهزامي لا يزول إلا بمرارة الأحداث.

الهوامش:

1 . Fredj Maatoug : John F . Kennedy, L a France et Le Maghreb,L'Harmattan ,Paris,2012,PP 13-14 .
2 . Ibid, P P «37-39.
3 . Ibid,P 11 .
4 . علي تبليت : العلاقات الجزائرية الأمريكية، 1776- 1830،ج1، ثالة، الأبيار، الجزائر، 2013م، ص ص 109- 115. أنظر كذلك ، أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق ، ص ص 140- 141.
5. Mahfoud Kaddache ; L'Emir Khaled,O .P.U,Ben Aknoun, Alger,1987,P,121.
6. Fredj Maatoug ; JOHN F Kennedy,P 12.
7. Op , cit ,P 10 .
8 . علي تبليت: المرجع السابق ،فيما يخص العلاقات الجزائرية الأمريكية قبل الاحتلال .
9 . Speech of J .F Kennedy ,Of Massachusetts in The Senate of the United States. Les papiers Kennedy,Algerian Speech files? Boites 919- 920, J F K , library Boston,Massachusetts,U.S.A .
10. Ibid.
11. Ibid.
12. Ibid.
13. Ibid.
14. Fredj Maatoug ; JOHN F Kennedy,67.
15. Ibid, P 67.
16. عبد الإله بلقزيز : الولايات المتحدة الأمريكية و المغرب العربي، من الاهتمام الاستراتيجي إلى الاختراق التكتيكي،مركز دراسات الوحدة العربية (الوطن العربي في السياسة الامريكية)، ص 67- 68.
17 . Fredj Maatoug ; JOHN F Kennedy ,P 159 .
18 . op. cit ,P 164.
19. حميد عبد القادر : عبان رمضان مراجعة من أجل الحقيقة، منشورات الشهاب، الجزائر ، 2003م، ص 114. أنظر كذلك:
Gilbert Meynier ; Histoire Intérieure Du FLN (1954- 1962), Fayard, 2002,PP 557 -564
20 . Fredj Maatoug ; op.cit, P 166.
18. Gilbert Meynier ; Histoire Intérieure Du FLN (1954-1962), Fayard, 2002,PP 557 -564